

القدرات التعليمية في الفضاء الإلكتروني في العالم الإسلامي: الواقع والتحديات

الكاتب: الدكتور. عزوز بن تمسك (تونس)^١

قبول: ١٤٣٩/٠١/٢١

استلام: ١٤٣٨/٠٤/٢١

المستخلص

يشهد العالم منذ ما يزيد على ربع قرن ثورة علمية وتكنولوجية فاقت في أهميتها وتأثيراتها ونتائجها ثورة القرن الثامن عشر الصناعية في أوروبا، هذه الثورة كان الإتصال والمعلوماتية من أبرز مظاهرها فقد أكدت العديد من الدراسات أن شبكة المعلومات العالمية^٢ هي أهم وأعظم ما أفرزته التطورات الهائلة في مجال تكنولوجيا المعلومات والإتصال^٣ والتي أسهمت في إحداث تأثير بالغ الأهمية في ظرف زمني قصير جدا، وبشكل جذري في جميع أنماط التعامل، وأساليب التفكير والحياة طغت على الأنماط التقليدية التي ألفها الناس من قبل في كل شيء^٤. يعتبر هذا التطور أمرا طبيعيا على أساس أن أي نمو مطرد في مجال العلم والتكنولوجيا يتسبب في إحداث إرباك للبنى والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والتعليمية الموجودة، ومن ثمة يصبح لزاما علينا أن نبادر لوضع خطة منهجية علمية منطقية لمواجهة هذه التقنية التي لا بد منها ولا غنى عنها^٥. وإذا ما أردنا التطرق إلى اركيولوجيا هذا التطور في مجال التربية والتعليم والتكوين والبحث، فإننا نجد أن بداياته تعود في الغرب وفي الولايات المتحدة الأمريكية إلى بداية الثمانينيات من القرن الماضي، ففي سنة ١٩٨٢ بدأت الدراسات ذات العلاقة بهذه المجالات تطرح مجموعة من الأسئلة والقضايا الهامة التي أفرزتها الثورة العلمية والتكنولوجية حيث دعت هذه الدراسات إلى ضرورة الإهتمام بالبحث العلمي في مجال التعليم الإلكتروني لمواجهة التحديات التي تفرضها هذه الثورة التكنولوجية^٦.

١. استاذ المساعد في كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة سوسة، سوسة، تونس،

abentemessek@yahoo.fr

2. International Net Work

3. TIC

٤. العمر، 2004.

٥. جابر، تاريخ شبكة المعلومات العالمية (إنترنت).

٦. المحيسن وهاشم، ١٤٢٣.

غير أنه ومنذ منتصف عقد التسعينيات من القرن الماضي ونتيجة لتطور استخدام الإنترنت وانتشار استعمالها بين الأفراد والمؤسسات التعليمية كانت أو غير تعليمية، تغير الكثير من مفاهيم هذا النمط من التعليم وظهرت مصطلحات جديدة، ومن هنا بدأ التفكير الجاد حول إمكانية استغلال الإنترنت في المجالات المدنية المختلفة ومنها بالخصوص مجال التعليم. هذه التطورات التكنولوجية الهائلة والتي مست جميع النشاطات الحياتية كما سبق وأن أشرنا، هل يمكن اعتبارها مؤشرا على نهاية الأنظمة التعليمية التقليدية أو الحضورية؟ في كل الأحوال لا، ولكن مع ذلك يلاحظ اليوم في كل المجتمعات بما في ذلك في العالم الإسلامي احتلال التعليم الإلكتروني لمساحات معتبرة كما تشير إلى ذلك عديد الإحصائيات، ومن أجل التأقلم مع هذه البيئة التعليمية الجديدة والمستحدثة تواجه المؤسسات التعليمية الإسلامية اليوم تحديات حقيقية فرضتها التطورات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة، ومن ثمة أصبح لزاما على هذه المؤسسات أن تواجه الإقبال المتزايد على التعليم الإلكتروني، والإرتقاء بمستوى كفاءته وفعالته وجودته ليتماشى مع متطلبات العصر، ويفي باحتياجات المجتمع في الميادين المختلفة. في هذه المداخلة، سنحاول الإجابة على الإشكالية الرئيسية التالية: ما هو واقع وتحديات القدرات التعليمية في الفضاء الإلكتروني في العالم الإسلامي؟ تنفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة الفرعية التالية:

- ماذا يعني مصطلح التعليم الإلكتروني؟
 - ما هي علاقة التعليم الإلكتروني بالتعليم التقليدي أو الحضورى من حيث كونها علاقة تكامل أو علاقة تنافس؟
 - كيف يمكن تحقيق عملية تعميم التعليم الإلكتروني في العالم الإسلامي؟
 - ما هي الآليات التي تحقق الاستفادة من القدرات التعليمية في الفضاء الإلكتروني في العالم الإسلامي وخاصة في مجال التعليم الديني؟
 - هل نحن في حاجة فعلا إلى تعليم الكتروني في العالم الإسلامي مكان التعليم التقليدي أو الحضورى؟
 - إلى أي مدى يمكن الحديث اليوم عن خلق تعليم الكتروني إسلامي حقيقي ودائم في ظل وجود تحديات متعددة المصادر؟
- الإجابة عن مختلف هذه التساؤلات الفرعية ستشكل حجر الأساس في هذه المداخلة.

الكلمات المفتاحية: التعليم الحضورى، التعليم الافتراضى، مستوى الدراسات الدينية، الدور المتبادل

تحديد مفهوم مصطلح التعليم الإلكتروني

إن انتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بالشكل الذي نعيشه اليوم قد أوجد الحاجة لإستغلال هذه التقنية في تطوير أساليب التعلم وطرق اكتساب المعرفة عن طريق التعليم المرن المتمسم بالديناميكية والفاعلية، دون ضرورة الارتباط بعامل المكان والزمان، فظهر التعليم الإلكتروني الذي يرى فيه عدد من العلماء والباحثين أنه سيكون تعليم المستقبل. وقبل البدء في تحديد مفهوم مصطلح هذا النمط من التعليم، يجدر بنا أن نشير إلى أن الأدبيات التعليمية والتربوية^١ تستخدم الكثير من المصطلحات عند الإشارة لمفهوم التعليم الإلكتروني من قبيل:

- التعليم المفتوح،^٢
- التعليم عن بعد،^٣
- التعليم الموزع،^٤
- التعليم المرتكز على المصادر،^٥
- التعليم المرن.^٦

وهناك الكثير من المصطلحات التي تزخر بها مثل هذه الأدبيات، والتي يختلف تحديد مفاهيمها حسب النظرة للتعليم والفهم لجوانبه، فعلى سبيل المثال، تبني منظمة التربية والعلوم والثقافة مصطلح التعليم المفتوح والتعليم عن بعد وهو إشارة إلى التعليم الذي يكون فيه المتلقي بعيدا عن مكان تعلمه.^٧

١. الفريخ، ٢٠٠٥.

2. Open Teaching
3. Distance Learning
4. Distributed Education
5. Resource-Based Teaching
6. Flexible Teaching

٧. يعود استخدام مصطلح التعليم المفتوح إلى نهاية القرن التاسع عشر، وكان ظهوره يهدف إلى فتح الفرص أمام الأفراد للتعلم بغض النظر عن مواقعهم الجغرافية أو حالتهم الاقتصادية والاجتماعية. يأخذ التعليم عن بعد أنماطا متنوعة في العالم الإسلامي، فهناك جامعات متخصصة في التعليم المفتوح مثل

لقد أصبح التعليم المفتوح أو التعليم عن بعد في وقتنا الحاضر حقيقة مستقلة بهيكلها ومؤسساتها، فهناك جامعات أوروبية متخصصة في التعليم المفتوح مثل الجامعة البريطانية المفتوحة والجامعة الهولندية المفتوحة كما أن هناك جامعات عربية مفتوحة مثل جامعة القدس المفتوحة، وجامعة ليبيا المفتوحة وجامعة السودان المفتوحة وكذلك الجامعة العربية المفتوحة بفروعها المتعددة والتي يوجد مقرها بالكويت.

وتشير منظمة التربية والعلوم والثقافة إلى أن المقصود بالتعليم عن بعد أنه عملية تربوية يتم فيها كل أو أغلب التدريس من شخص بعيد في المكان والزمان عن المتعلم، مع التأكيد على أن أغلب الاتصالات بين المعلمين والمتعلمين تتم من خلال وسيط معين سواء كان إلكترونياً أو مطبوعاً، أما الجمعية الأمريكية للتعليم عن بعد فتعرف هذا النوع من التعليم على أنه عملية اكتساب المعارف والمهارات بوساطة وسيط لنقل التعليم والمعلومات، متضمناً في ذلك جميع أنواع التكنولوجيا وأشكال التعليم المختلفة للتعلم عن بعد.

إن التعليم عن بعد مر بأربعة مراحل على النحو التالي:

- نظام التعليم عن طريق المراسلة^١ الذي ظهر منذ نهاية القرن التاسع عشر ولازال موجوداً في الكثير من بلدان العالم، بل ما زال الطريقة التعليمية الوحيدة المتاحة لأولئك الذين لم يسعفهم الحظ في مواصلة التعليم النظامي أو أخفقوا في إكمال دراستهم في معظم البلدان المتخلفة، حيث يلقي رواجاً كبيراً وتتسع قاعدته من سنة إلى أخرى، يركز هذا النوع من التعليم على المواد المطبوعة التي قد تتضمن في بعض البلدان، وسائل سمعية وبصرية ويكون البريد العادي وسيلة التواصل بين طرفي العملية التعليمية من معلم ومتعلم.

جامعة القدس المفتوحة والجامعة المفتوحة بليبيا، وجامعة السودان المفتوحة وكذلك الجامعة العربية المفتوحة بفروعها المتعددة والتي مقرها الرئيس دولة الكويت.

- نظام التعليم عن طريق التلفزيون والراديو^١ وتستخدم في هذا النظام التعليمي تقنيات متعددة كوسيلة للتواصل وتقديم المحاضرات الحية المباشرة أو المسجلة مثل المحطات الفضائية والتلفزيون الخطي^٢ والراديو.
 - نظام التعليم عن طريق الوسائط المتعددة^٣ وتتضمن النصوص والأصوات وأشربة الفيديو الخ، وغالباً ما تستخدم الجامعات المفتوحة هذه الأنظمة حيث يقدم التدريس فيها من قبل فرق عمل متنوعة التخصصات.
 - نظام التعليم المعتمد على استخدام شبكة الإنترنت^٤ والذي تكون المواد التعليمية فيه متضمنة للوسائط المتعددة ومجهزة بطريقة إلكترونية تنتقل إلى المتلقين بوساطة جهاز الكمبيوتر مع توافر إمكانية الوصول إلى قواعد البيانات والمكتبات الإلكترونية، ويمكن من خلال تلك الأنظمة توفير التفاعل بين المعلم والمتعلم من جهة، وبين المتعلم وزملائه من جهة أخرى، سواء بطريقة متزامنة^٥ من خلال برامج المحادثة والفيديو (أنظر الملحق رقم ٢) أو غير متزامنة^٦ باستخدام البريد الإلكتروني ومنتديات الحوار.
- غير أن تطور شبكة الإنترنت في النصف الثاني من عقد التسعينات، وازدياد أعداد المشتركين فيها من أفراد وجماعات ومنظمات غير كثيرا من مفاهيم هذا التعليم بل وأفرز مصطلحات وقضايا جديدة داخله،، ومن هنا بدأ التفكير الجاد في إمكانية استغلال هذه التقنية في مجال التربية، والتعليم والتكوين والبحث، وبذلك ظهر مفهوم التعليم الإلكتروني^٧ الذي سيكون بدون شك تعليم المستقبل.
- فما هو إذا مفهوم التعليم الإلكتروني؟

-
1. TV and Radio Education System
 2. Cable TV
 3. Multimedia
 4. Education System based on the use of the Internet
 5. Synchronous
 6. Asynchronous
 7. E-Learning

يمكن تعريف التعليم الإلكتروني على أنه طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة كالحاسوب، الشبكات، الوسائط المتعددة (صوت، صورة، رسومات، آليات بحث ومكتبات إلكترونية) وبوابات الإنترنت، من أجل إيصال المعلومات للمتعلمين أو المتلقين بأسرع وقت وبأقل تكلفة وبصورة تمكن المشرفين من إدارة العملية التعليمية وضبطها وتقييم أداء المتعلمين، سواء تم ذلك عن طريق التعليم المتزامن أم عن طريق التعليم غير المتزامن.^٢

يعتبر التعليم الإلكتروني شكلا من أشكال التعليم عن بعد بحيث يعتبر العديد من الكتاب أن مصطلح التعليم المفتوح والتعليم عن بعد يمكن أن يكون مظلة مناسبة يندرج تحتها جميع المسميات التي ظهرت في هذا الحقل كما يمكن أن نجد تصنيفا للمؤسسات التعليمية التي تقدم هذا النوع من التعليم بالاعتماد على أساليب العمل المتبعة، حيث تقسم إلى ثلاثة أنواع:

- الأسلوب الفردي للتعلم المفتوح والتعلم عن بعد، ينطبق هذا النموذج على المؤسسات التي يكون لأنشطة التعليم عن بعد النصيب الأوفر مقارنة بأنشطة التعليم المباشرة.
- أسلوب التعلم المزدوج للتعلم المفتوح والتعلم عن بعد، ينطبق هذا النموذج على الجامعات التي تمزج بين نوعي التعليم المفتوح والتقليدي وقد أخذ هذا النوع ينتشر في العديد من الجامعات التقليدية لتوفير فرص التعليم لغير القادرين من المتعلمين على متابعة تعليمهم بانتظام.
- الأسلوب المختلط أو المتآلف الذي يمزج بين النوعين من التعليم مستفيدا من التكنولوجيا المتطورة.

1. Learners

٢. طريقة من طرق التعليم الإلكتروني يتم من خلالها ربط المعلم بالمتلقين في بيئة تعليمية حقيقية بحيث يكون التواصل بين طرفي العملية التعليمية مباشرة على الرغم من البعد والانفصال الجغرافي، في هذا النمط من التعليم يكون المعلم مشرفا على قاعة الدرس مع إمكانية محادثة المتلقين مباشرة بالإضافة إلى إمكانية رؤية المتلقين للسطورة الإلكترونية داخل القاعة في وقت الشرح.

لقد ساهم كل نظام من الأنظمة السابق ذكرها في ظهور مؤسسات تعليمية متنوعة مستفيدة من تطبيقه. كما أن الانتشار الهائل للإنترنت والتدفق السريع للمعلومات عمل على ظهور أنواع جديدة من المؤسسات التعليمية التي تعتمد على التكنولوجيا بشكل رئيس وهي التي تعرف بالمؤسسات أحادية النموذج، حيث يكون التعليم عن بعد هو مسؤوليتها الوحيدة ويشار للنوع المتطور منها بالجامعات الافتراضية كما أن هناك المؤسسات التعليمية التي تعتمد النموذج الثنائي والذي يتضمن كلا النوعين التقليدي والتعليم عن بعد.

إن بيئات التعليم الإلكتروني تتنوع بحسب الاستقلالية التي توفرها للمتعلمين، حيث نجد في هذا الشأن ثلاثة أنواع من تلك البيئات:

- التعلم الشبكي المباشر، يتسم في أن المادة التعليمية يتم تقديمها بالكامل بوساطة الشبكة.
- التعلم الشبكي المختلط أو المتآلف، تعمل البيئة فيه على تيسير التعليم بشكل متكامل مع التعليم الصفي التقليدي.
- التعلم الشبكي المساند، يشير إلى استخدام الشبكة من قبل المتعلمين لتنزيل تكاليف المقرر واستخدام مصادر المعلومات المختلفة.

شروط الانتقال نحو التعليم الإلكتروني

المنظومة التعليمية الإسلامية الإسلامية يجب ألا تقتصر على التعليم الحضوري أو التقليدي بل لابد من توظيف التطورات الحديثة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وإستخدامها لتوفير ذلك النوع من التعليم القادر على تمكين المؤسسات التعليمية من منح المهارات والمعارف الضرورية اللازمة لنجاح روادها في الحياة الإجتماعية والمهنية في عصر ثورة المعرفة، بمعنى الوصول إلى حالة من التزاوج بين التعليم التقليدي والتعليم الإلكتروني تقوم على أساس تفعيل الأول، والأخذ بعين الاعتبار أهمية الثاني.

وتحقيق هذه الغاية أي الانتقال نحو التعليم الإلكتروني ليس بالعملية السهلة التي يمكن أن تتم بقرار فوقي، وإنما هي عملية معقدة تتطلب وضع إستراتيجية محكمة واتباع خطوات معينة يمكن إجمالها فيما يلي:

- إعداد الإطار البشري المؤهل للتأطير والمتابعة،
- صياغة محتوى تعليمي يتلاءم مع البيئة الجديدة،
- توفير بيئة الاستقبال المناسبة،
- ضبط خطة سير الدراسة في أبعادها المختلفة (المحاضرات، الأعمال الموجهة، الحلقات النقاشية)،
- تحديد عدد المجموعات المتلقية للتعليم الإلكتروني،
- وضع الجهاز المشرف على إدارة العملية التعليمية،
- وضع الآليات المتعلقة بالتقويم المستمر للمجموعات المتلقية،
- وضع قاعدة بيانات لرصد سير التجربة في أبعادها المختلفة من أجل التطوير وزيادة الفاعلية والمردودية على اعتبار أن العملية في حد ذاتها عملية استثمارية في أهم قطاع وهو قطاع رأس المال البشري.

هل أن المؤسسات التعليمية في الدول الإسلامية جميعها مستعدة لتوفير هذه البيئة التعليمية الضرورية للتحويل نحو التعليم الإلكتروني؟

نظريا، يمكن أن نجيب بنعم، لكن من الناحية العملية قليلة هي الدول الإسلامية المؤهلة مؤسساتها التعليمية للتحويل نحو التعليم الإلكتروني فغالبية الدول الإسلامية عاجزة عن وضع خطة فعالة قادرة على إصلاح منظومتها التعليمية التقليدية، ناهيك عن قدرتها على ولوج عالم المؤسسات التعليمية الإلكترونية على الأقل ضمن المنظور القريب والمتوسط، فالمؤسسات التعليمية الإسلامية وخاصة الجامعية تواجه اليوم تحديات كبيرة فرضتها عليها التطورات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة، وأصبح لزاما على هذه المؤسسات أن تواجه الإقبال المتزايد على التعليم العالي والارتقاء بمستوى كفاءته وفعالته وجودته ليتماشى مع متطلبات العصر.

ورغم ما يعانيه نظامنا التعليمي فإنه يجب ألا يبقى نظاما تعليميا مقتصرًا على نمط التعليم التقليدي بل لابد من توظيف التطورات الحديثة التي أفرزتها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات واستخدامها لتوفير نمط تعليمي يتسم بالمرونة والكفاءة والفاعلية، وذلك من خلال الدمج بين نمط التعليم التقليدي والتعليم الإلكتروني. تعليم قادر على تمكين منتسبيه، في أي وقت وفي أي مكان من اكتساب القدرات والمهارات والمعارف الضرورية اللازمة للنجاح في الحياة الاجتماعية والمهنية.

مزايا التعليم الإلكتروني

لقد بدأ التعليم الإلكتروني يحتل مساحات واسعة ويجلب إليه أنصارا عديدين وفرض بذلك حضوره على التعليم التقليدي أو الحضوري حتى أصبح تعليما قائما بذاته فإلى ما يعود ذلك؟

من خلال مقارنة أساليب النظامين التعليميين الإلكتروني والتقليدي، يمكن رصد ميزات أساسية للتعليم الإلكتروني والتي يمكن حصرها في الأمور التالية:

- تحقيق قدر أكبر من التفاعلية بين عدد من المرسلين إلى عدد من المتلقين وهذا ما هو غير قابل للتطبيق في التعليم التقليدي أو الحضوري،
- تجاوز قيود المكان والزمان في العملية التعليمية،
- توسيع فرص القبول في التعليم خاصة العالي وتجاوز عقبات محدودية الأماكن وتمكين مؤسسات التعليم العالي من تحقيق التوزيع الأمثل لمواردها المحدودة،
- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين وتمكينهم من إتمام عمليات التعليم في بيئات مناسبة لهم والتقدم حسب قدراتهم الذاتية،
- إتاحة الفرصة للمتعلمين للتفاعل الفوري إلكترونيا فيما بينهم من جهة وبينهم وبين المعلم من جهة أخرى من خلال وسائل البريد الإلكتروني وحلقات النقاش وغرف الحوار ونحوها،

- نشر ثقافة التعلم الذاتي^١ والتقييم الذاتي^٢ بين أفراد المجتمع التي تمكن من تحسين وتنمية قدرات المتعلمين بأقل تكلفة^٣
- إحساس الطلاب بالمساواة في إتاحة الفرص في العملية التعليمية وكسر حاجز الخوف والقلق لديهم،
- تمكين المتلقين من التعبير عن أفكارهم والبحث عن المعلومات بوسائل أكثر وأجدي مما هو متبع في قاعات الدرس التقليدية،
- سهولة الوصول إلى المعلم حتى خارج أوقات العمل الرسمية،
- تخفيض الأعباء الإدارية للمقررات الدراسية من خلال استغلال الوسائل والأدوات الإلكترونية في إيصال المعلومات والواجبات والفروض للمتعلمين وتقييم أدائهم،
- استخدام أساليب متنوعة ومختلفة أكثر دقة وعدالة في تقييم أداء المتعلمين،
- تمكين المتعلم من تلقي المادة العلمية بالأسلوب الذي يتناسب مع قدراته من خلال الطريقة المرئية أو المسموعة أو المقروءة.

وتحقيق هذه الغايات مرهون بتوفر الأمور التالية:

- قاعات مجهزة بالكمبيوتر وملحقاته،
- شبكة اتصالات متطورة قادرة على مواجهة كل المتطلبات العملية التعليمية الإلكترونية،
- هيئة تدريس مؤهلة قادرة على التفاعل مع متطلبات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الرقمية، أي التعامل بقدرة واقتدار مع متطلبات الكمبيوتر، الإنترنت، الوسائط المتعددة والبريد الإلكتروني،

-
1. Self-Teaching
 2. Self-Evaluation

- بنية إدارية و بيداغوجية كفيلة بإنجاح العملية التعليمية الإلكترونية في جميع مراحلها.

وباختصار، يعزز التعليم الإلكتروني قدرات خبراء التكنولوجيا المتقدمة وخبراء التربية والتعليم والتكوين في مخاطبة شرائح مختلفة من المتعلمين والسماح بتنوع أنماط التعليم للتغلب على قيود المسافة وغياب الترابط والتواصل مع المتعلمين بعضهم ببعض وبينهم وبين معلمهم وأطراف عملية التعليم الآخرين من خلال طرق تدريس تتسم بالابتكار والإبداع لإثارة رغبة وحماس المتعلمين في التعلم وزيادة فعاليتهم.¹

- هل كل مؤسساتنا التعليمية الإسلامية قادرة إداريا وبيداغوجيا وبشريا على تحقيق كل هذه المتطلبات؟

لا أجد حرجا في الواقع، وحسب مشاهدتي وتجربتي، بأن أجب بنفي قاطع ذلك أن غالبية هذه المؤسسات عاجزة عن توفير المتطلبات الدنيا للتعليم التقليدي فكيف يمكنها في وضعها الحالي المليء بالمشاكل والتناقضات أن تواجه متطلبات التعليم الإلكتروني. وعلى الرغم من هذا الواقع القائم سيكون من الضروري بمكان وضع استراتيجيات شاملة وواقعية لتطوير المنظومة التعليمية الحالية حتى يتمكن أفراد المجتمع من اكتساب المهارات الضرورية للمشاركة الفعالة في مجتمع المعلومات وفهمه والانتفاع بكل ما يتيح من إمكانيات، وكل ذلك لا يكون ناجعا وفعالا إلا بإشراك هؤلاء الأفراد في تحديد احتياجاتهم وفي وضع البرامج الكفيلة بتلبية هذه الاحتياجات.

إن ما سبق ذكره، بخصوص مزايا التعليم الإلكتروني لا يعني بتاتا أننا نقلل من أهمية التعليم الحضوري أو التقليدي بل بالعكس هو دعوة للانفتاح على تكنولوجيا المعلومات والاتصال والاستفادة منها بقدر الإمكان في تطوير المنظومة التعليمية التقليدية حتى تكون فعالة وقادرة على المنافسة على أساس أن خلق منظومة تعليمية إلكترونية متكاملة إلى جانب المنظومة التعليمية التقليدية بات أمرا لا مفر منه إن لم يكن اليوم بإرادتنا فسيكون غدا رغما عنا.

1. هو جزء من المفهوم العام للتعليم الإلكتروني ومعناه أن يقوم المتعلم بتعليم وتدريب نفسه باستخدام وسائل معينة في ذلك حيث يكون المتدرب هو الذي يبدأ العملية التعليمية ويحدد الخبرات التي يطمح الحصول عليها وكيف يتم ذلك بالإضافة إلى الأهداف ووسائل تحقيق تلك الأهداف.

مآخذ التعليم الإلكتروني

مع ما للتعليم الإلكتروني من مزايا إلا أن الاندفاع وراء التعليم الإلكتروني قد يحرم الطالب مهارات هو في أمس الحاجة إليها مثل الإستماع والكتابة والتفاعل مع الأقران والتحدث والحوار والمناقشة إلى غير ذلك

وعليه، فإن الدراسة المتأنية للمحتوى قبل إعداد الأنشطة التعليمية ضرورية جدا لو يتم ذلك من قبل فريق تربوي متخصص في اللغة والبرمجة، يقرر متى يذهب المعلم بطلابه إلى مختبر الكمبيوتر ومتى يقيهم في غرفة الصف ليتعلموا على يديه أبجديات الاستماع والحوار، وبالطريقة التي تعلم بها أبأؤهم من قبل كما يمكن إضافة بعض المآخذ ومنها:

- إضعاف دور المعلم كمشرف تربوي وتعليمي مهم وارتباطه المباشر مع طلابه وبالتالي قدرته على التأثير المباشر،
- إضعاف دور المدرسة كمؤسسة تعليمية هامة في المجتمع لها دورها الهام في تنشئة الأجيال المتعاقبة،
- ظهور الكثير من الشركات التجارية والتي هدفها الربح فقط والتي تقوم بالأشراف على تأهيل المعلمين وإعدادهم وهي في الحقيقة غير مؤهلة علميا لذلك،
- كثرة الأجهزة العلمية المستخدمة في العملية التعليمية قد تصيب المتعلم بالفتور في استعمالها.

تحديات التعليم الإلكتروني

- على الرغم من المزايا المتعددة التي يوفرها التعليم الإلكتروني إلا أن المؤسسات التعليمية الإسلامية لا زالت تواجه الكثير من التحديات من أجل تركيز التعليم الإلكتروني في القطاعات المختلفة، ولعل من أكبر تلك المعوقات:
- قناعة الكثيرين من رجال التربية والتعليم والتكوين بعدم جدوى التعليم الإلكتروني،

- عدم قدرة الكثيرين من رجال التربية على التغيير والتأقلم مع مقتضيات البيئة التعليمية الإلكترونية الجديدة،
 - اعتقاد الكثيرين من رجال التربية بأن التعليم الإلكتروني هو منافس للتعليم التقليدي وليس مكمل له، بمعنى أن ترسيخ الأول لا يتحقق إلا بزوال الثاني،
 - عدم وضوح أسلوب وأهداف هذا النوع من التعليم للمسؤولين على قطاع التربية والتكوين والتعليم في كثير من البلدان الإسلامية،
 - ضعف نسبة المواظبة^١ وهي مسألة تعاني منها المنظومة التعليمية الإلكترونية لا على مستوى العالم الإسلامي فقط وإنما على مستوى العالم بأكمله حتى أصبحت من المعوقات التي باتت تشكل خطراً على البيئة التعليمية الإلكترونية برمتها، فعلى سبيل المثال يذكر^٢ في دراسة أعدها حول المواظبة في جامعة أبيبيرا الوطنية بفنزويلا أن نسبة عدم المواظبة في بعض البرامج بلغت ٧٥% وهي نسبة باتت تهدد هذه البرامج بالزوال،^٣ من جهته توصل^٤ إلى نفس النتيجة عند دراسته لنفس الظاهرة في جامعة أتاباسكا^٥ والتي زادت فيها نسبة عدم المواظبة لتصل إلى ٥٦%.
- ويعيد^٦ في دراسة أعدها سنة ١٩٩٣ أسباب هذه الظاهرة إلى أربعة عوامل رئيسية حددها في التالي:
- عوامل مؤسسية مرتبطة بالوضع الخاص بالمتلقي،
 - عوامل مؤسسية مرتبطة بالقواعد التي تضعها المؤسسة الجامعية المكلفة بالتكوين،
 - عوامل متصلة بعادات المتلقي والأسلوب الذي يدير به عمله،
 - عوامل استمولوجية مرتبطة بمحتوى الدرس.

-
1. Perseverance
 2. Siqueira de Freitas and Lynch
 3. www.cict.co.uk/software/markin/index.htm
 4. Brindley
 5. Athabaska
 6. Garland

وبالنظر إلى واقع المجتمعات الإسلامية يمكن رصد العديد من المعوقات التي يعود بعضها إلى العقلية المجتمعية السائدة، وبعضها إلى طبيعة التعليم الإلكتروني في حد ذاته وبعضها الآخر يعود إلى الواقع المادي المتدهور لكثير من المجتمعات الإسلامية:

- بدائية البنية التحتية لشبكة المعلومات والاتصالات في غالبية البلدان الإسلامية وعدم انتشار استخدام الكمبيوتر في كثير من الدول الإسلامية نتيجة لتدني دخل الأفراد،
- ضعف الوعي التكنولوجي لدى الكثير من المجتمعات الإسلامية لأسباب عديدة لا يسع المقام هنا لذكرها وتفشي الأمية خاصة التقنية والرقمية منها،
- التكلفة المادية التي يتطلبها شراء المعدات اللازمة والأجهزة الأخرى المساعدة والتي بدونها لا يمكن خلق تعليم إلكتروني حقيقي وفعال.

آليات تحقيق الفاعلية في التعليم الإلكتروني في العالم الإسلامي

من المؤكد أن نجاح أي منظومة تعليمية يعتمد بشكل كبير على التزامها بمعايير جودة متفق عليها عالمياً، وفي مجال التعليم الإلكتروني فإن المسألة تأخذ أهمية خاصة نظراً لطبيعة هذا النوع من التعليم والذي يتميز بتباعد المعلم عن المتعلم أو المتلقي.

وتحقيق النوعية مطلب أساسي في جميع النشاطات وتزداد أهميتها حينما يتعلق الأمر بقطاع حيوي كقطاع التربية والتعليم والتكوين والبحث، وهو أمر يؤكد الكثيرون بأن التربية النوعية هي التي تجعل من الإنسان قادراً على الإنجاز والنهوض بالإنسان والوطن، والإسهام في التنمية الاجتماعية المستدامة^١.

وذلك يتطلب تحقيق ثلاثة شروط أساسية:

- ضمان النمو الحقيقي في شخصية وسلوك المتعلم،
- المواءمة مع احتياجات المجتمع في الظروف القائمة،
- توفر الخصائص العلمية والمهنية للمؤسسة.

١. الخوالدة، مفهوم التعلم عن بعد والتعليم المفتوح ودور تكنولوجيا الاتصالات في تفعيلها.

أما بخصوص التعليم الإلكتروني، فما هي آليات تحقيق الجودة والفاعلية؟
هذه الآليات يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- توفير شروط أساسية في الطلبة الملتحقين بهذا النوع من التعليم لضمان مدخلات تعليمية مناسبة تملك الإمكانيات النفسية والعقلية والجسمية،
- تخطيط البرامج التعليمية بحيث تقوم بنيتها على أفضل أنواع المعارف المعاصرة والمعلوماتية وتكنولوجيا الاتصالات المرتبطة بالإحتياجات المجتمعية،
- استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وملحقاتها استخداما حقيقيا وفعالا بحيث تساعد المتعلم على امتلاك المعارف والمهارات والتقنيات والمنهجية التي تمكنه من القدرة على الإنتاج والإبداع،
- توفير شروط نوعية التعليم في المادة التعليمية والوسائط التعليمية والمعلم وكافة البرمجيات التي تستخدم في هذا النوع من التعليم غير التقليدي،
- تنفيذ البرامج التعليمية وفق مراقبة دقيقة تمكن من تنفيذ البرامج وفق أهدافها ومراقبتها من حالات التدني أو الخروج عن أهدافها الحقيقية،
- تقييم البرامج التعليمية المستخدمة في ضوء المستجدات من أجل إدخال الإصلاحات والتطوير بصورة مستمرة،
- تطوير أداء أعضاء هيئة التدريس وكذلك شروط قبول الطلبة حرصا على استمرار مدخلات نوعية في الطلبة والمعلمين، لما لذلك من أثر على نوعية المخرجات من الطلبة ومستوى أداء المعلمين،
- إعادة النظر في النظام الإداري والفني بصورة مستمرة وتخليصه من كل ما من شأنه عرقلة توفير تعليم نوعي للطلبة الملتحقين به.

هل بالإمكان توفير هذه الآليات في المؤسسات التعليمية الإسلامية؟

بالنظر إلى المشاكل التي تعاني منها المنظومة التعليمية الإسلامية التقليدية والتي تزداد حدتها من سنة إلى أخرى، فإن الإجابة بنعم قد تنطوي على كثير من المغالطات، بمعنى أنه على المنظور القريب والمتوسط وبالنسبة لغالبية الدول الإسلامية، فإن توفير هذه

الإمكانيات يصبح وببساطة ضربا من الخيال سيما وأن الأمر يتعلق بمنظومة تعليمية جديدة أساسها تكنولوجيا المعلومات والاتصال وملحقاتها.

التعليم الإلكتروني؛ ضرورة أم ترف

إن الدخول إلى عصر المعرفة، والذي يركز على استغلال التقنيات الحديثة في شتى مناحي الحياة، يتطلب الارتقاء بالرؤية المستقبلية، وإعادة النظر في أساليب العمليات التقليدية على جميع الأصعدة فقد غدت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وسيلة حياة وليس مجرد أدوات رفاهية مقتصرة على مجال معين أو نخبة اجتماعية محددة.

وفي ظل التوجه العالمي نحو اقتصاد المعرفة الذي يعتمد بشكل أساسي على التقنيات الحديثة لاستغلال المعرفة في رفع مستوى الأفراد الاجتماعي واستغلال الموارد المختلفة خير استغلال، أصبحت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وسيلة بقاء و أداة لا يمكن الاستغناء عنها في ظل عالم معولم مفتوح يعتمد على القدرة التنافسية كمييار للتقدم و الازدهار.

وفي هذا الإطار تبرز المنظومة التعليمية كأهم محرك لإحداث تغيير جذري وثورة حقيقية في نمط الحياة و التفكير فالأجيال الصاعدة هي دائما الأقدر على تحقيق نقلة نوعية إن توفرت لها آليات التغيير.

إن الانتقال إلى اقتصاد المعرفة، بكل ما يحتوي هذا المصطلح من تحديات، لا بد من البدء بالمدارس والجامعات بحيث تصبح المعرفة والوسائل التي تدعم تحصيلها، والحفاظ عليها هي المرتكزات الأساسية للمنظومة التعليمية التقليدية والإلكترونية، وإدراكا من الغرب بأهمية التعليم كقاطرة للتنمية البشرية وكأداة لتحقيق التغيير في نمط تفكير الأفراد، فقد انصبت الجهود ومنذ مطلع التسعينيات من القرن الماضي على تأسيس نظام تعليم معرفي يعتمد التقنيات الحديثة كوسيلة فاعلة لتحصيل وحفظ ونقل المعرفة بأشكالها المختلفة، وكل هذا يتم ضمن رؤية واعية ودعم غير محدود من كافة الشركاء الأساسيين والفاعلين مجتمعيا.

وعليه، فإذا ما أردنا اللحاق بهذا الركب يصبح لزاما علينا كدول وكمجموعة إسلامية تبني إستراتيجية إسلامية للتعليم الإلكتروني تطوي على استغلال التقنيات الحديثة كوسيلة أساسية في المنظومة التعليمية في مراحلها المختلفة، ولكن مثل هذا الخيار الاستراتيجي يتطلب تغييرا جذريا في بيئة وأساليب التعليم ويحتاج إلى جهود جبارة ومصادر مادية ضخمة مما يشكل تحديا كبيرا للغاية للبلدان الإسلامية.¹

مستقبل التعليم الإلكتروني في العالم الإسلامي

ما هو مؤكد أن التعليم الإلكتروني العالمي يشهد تطورا مطردا وما هو مؤكد أيضا عجز التعليم الإلكتروني الإسلامي بصفة عامة على مواكبة هذا التطور واستفادته منه بالقدر الذي يجعله يفرض نفسه كواقع يهم حياتنا في أبعادها المختلفة. قولنا هذا لا يجعلنا ننكر على هذا التعليم تمكنه بشكل أو بآخر من فتح المجال أمام أولئك الذين يريدون أن يتعلموا ولم تسمح لهم ظروفهم من الالتحاق بمؤسسات التعليم التقليدي.

— ما هي إمكانية تدارك هذا الوضع ؟

تدارك الوضع ليس مستحيلا، لكن يضل في رأينا مرهونا بتوسيع قاعدة التعليم الإلكتروني، وهو أمر لا يتأتى إلا بزيادة انتشار استعمال شبكة الإنترنت ووسائل الإتصال الأخرى من قبل أفراد المجتمع، والمرتبطة حتما بعوامل أخرى في مقدمتها نسبة التعليم، والمستوى الاقتصادي والظروف السياسية. وللتأكد من ذلك يكفي أن نرى ما هو موجود عند الآخرين وما هو موجود في بيتنا الإسلامية، فالأرقام العالمية تشير إلى تزايد عدد المشتركين على شبكة الإنترنت باطراد، ففي سنة 1996 كان هناك 40 مليون مشترك وفي سنة 2002 وصل العدد إلى أكثر من 250 مليون مشترك من أصل 6 مليارات نسمة ومن المتوقع أن يصل العدد إلى مليار مشترك بين سنوات 2018-2020 كما أن نسبة 70% من مستخدمي الإنترنت في العالم متركزون في بلدان أوروبا وأمريكا الشمالية وأكثر من 35% من هؤلاء في الولايات المتحدة الأمريكية هذه الأخيرة يوجد بها 154 مليون مستخدم لشبكة الإنترنت.²

١. الفيومي، ٢٠١٤.

٢. مؤتمر صحافة الإنترنت في الوطن العربي: الواقع والتحديات، ٢٠٠٥.

ومن جهة أخرى، تشير الإحصائيات إلى أن هناك ٢٥% من سكان العالم يملكون ما نسبته خط هاتفي واحد لكل 100 شخص وفي بعض المناطق ترتفع النسبة لخطين هاتفين لكل شخص، بينما سكان أفريقيا البالغ عددهم 700 مليون نسمة، وإلى وقت قريب لا توفر لهم شبكة الخطوط الهاتفية الثابتة أكثر من 14 مليون خط، ومنطقة المغرب العربي التي هي جزء من أفريقيا، والتي بلغ عدد سكانها سنة 1992 حوالي 70 مليون نسمة لا تتوفر إلا على مليونين ونصف مليون من الخطوط الهاتفية والتي من المتوقع أن تصل إلى 7 ملايين خط في أفق عام ٢٠١٨ وما بين 12 إلى 14 مليون خط سنة ٢٠٢٠ لمجموع السكان الذي سيبلغ حوالي 100 مليون.

وإذا ما قارنا نسبة استخدام العالم الإسلامي لشبكة الإنترنت مع المعدل العالمي لأدركنا ضعفنا وحجم تأخرنا فنسبة مستخدمي الإنترنت من المسلمين لا تمثل سوى 0.34% من عدد مستخدمي الإنترنت على المستوى العالمي أي أن نسبة المستخدمين المسلمين أقل بحوالي 11 مرة من معدل الاستخدام العالمي وهذا في الوقت الذي يبلغ فيه سكان العالم الإسلامي نحو 300 مليون نسمة أي حوالي 5% من سكان العالم لا يستخدم منهم الانترنت سوى 6.1%.

مع وجود هذه الأرقام يضاف إليها ضعف الإمكانيات وارتفاع نسبة الأمية بأبعادها المختلفة، هل يمكننا الحديث عن رفع نسبة المستخدمين للانترنت ووسائل الاتصالات الأخرى وبالتالي زيادة مساحة التعليم الإلكتروني؟

إن الوقائع أصلا غير مشجعة بالنسبة لغالبية الدول الإسلامية، فحسب تقرير صادر سنة 2003 هناك أقل من 18 حاسوبا لكل 1000 شخص في الدول الإسلامية بينما المتوسط العالمي هو 78.3 حاسوبا لكل 1000 شخص، هذا الأمر قد يطول بالنسبة لغالبية الدول العربية باستثناء بعض دول الخليج والأردن.

إن التعليم الإلكتروني لن يصبح واقعا ممكنا وحقيقة ملموسة في بيتنا الإسلامية إلا إذا تمكنا في مرحلة أولى من مواجهة آفة الأمية الأبجدية، وفي مرحلة ثانية من مواجهة أنواع الأمية الأخرى كالأمية العلمية والتقنية والأمية الرقمية. لماذا؟

لأن مؤشرات التقدم اليوم أصبحت في أي مجتمع من المجتمعات تقاس خاصة بارتفاع معدلات التعليم، ومكافحة الأمية ومحاصرة مساحات الأمية الإلكترونية وزيادة نسبة الحواسيب الشخصية وتوسيع قاعدة عدد مستخدمي الإنترنت مقارنة مع عدد السكان. أين نحن من كل ذلك؟

المقترحات

لم يعد قطاع التربية والتعليم والتكوين والبحث بمعزل عن الانتشار العالمي لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات التي أنتجت نمطا جديدا يطلق عليه مصطلح التعليم الإلكتروني ونجح هذا النمط التعليمي في كثير من البلدان المتقدمة في تخطي الحواجز الزمنية والمكانية للعملية التعليمية، وخلق أسواقا وفرصا استثمارية لم يستطع التعليم التقليدي الوصول إليها أو إنتاجه، لكن في غالبية مجتمعاتنا الإسلامية ظل هذا النوع من التعليم يراوح مكانه إن لم نقل غائبا عن القاموسي البيداغوجي.

ورغم ذلك فإنه من المهم بمكان ألا تبقى منظومتنا التعليمية مقتصرة على النمط التعليمي التقليدي، بل لابد من توظيف التطورات الحديثة التي أفرزتها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات واستخدامها لتوفير نمط تعليمي يتسم بالمرونة والكفاءة والفاعلية، وذلك من خلال المزوجة بين نمط التعليم التقليدي والتعليم الإلكتروني، وبغية تحقيق هذه الغاية يجب ألا يغيب عن الأذهان بأن التعليم الإلكتروني لا يمثل حدثا طارئا، بل هو ظاهرة ستستمر في التطوير وتمر بعدة تغييرات أساسية تصب كلها في خدمة العملية التعليمية برمتها.

ولخلق منظومة تعليمية إلكترونية وأيضا لتطويرها وزيادة فاعليتها في العالم الإسلامي يصبح لزاما مراعاة ما يلي:

- ضرورة تبني إستراتيجية إسلامية موحدة للتعليم الإلكتروني تنطوي على استغلال التقنيات الحديثة كوسيلة أساسية في المنظومة التعليمية في مراحلها المختلفة،

- ضرورة إحداث تغيير جذري في بيئة وأساليب التعليم وذلك يحتاج بطبيعة الحال إلى جهود جبارة ومصادر مادية ضخمة،
- ضرورة توفير البنية التحتية التي يتطلبها التعليم الإلكتروني والتي تتمثل في إعداد هيئة تدريس مؤهلة قادرة على التفاعل مع متطلبات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الرقمية، أي التعامل بقدرة واقتدار مع متطلبات الكمبيوتر والإنترنت والوسائط المتعددة والبريد الإلكتروني،
- ضرورة الاستفادة البناءة من تجارب وخبرات الآخرين بمعنى أقلمة هذه الاستفادة وإخضاعها لمتطلبات واقع العالم الإسلامي.

قائمة المصادر

١. جابر، خليل. تاريخ شبكة المعلومات العالمية (إنترنت):
http://www.angelfire.com/biz/kha98/maqlat_mhadrat/internethistory.htm
٢. الخوالدة، محمد. مفهوم التعلم عن بعد والتعليم المفتوح ودور تكنولوجيا الاتصالات في تفعيلهما:
www.elearning.edu.sa/?page=SelfLearning
٣. العمر، محمد (٢٠٠٤). مستقبل بدأ البارحة: تحديات الصحافة الورقية في عصر الإنترنت. مجلة إتصال، عدد ٩:
٤. الفريخ، سعاد (٢٠٠٥). التعلم عن بعد ودوره في تنمية المرأة العربية. القاهرة: منتدى المرأة العربية والعلوم والتكنولوجيا: ١٠-٨.
٥. الفيومي، نبيل (٢٠١٤). التعلم الإلكتروني في الأردن: خيار استراتيجي لتحقيق الرؤية الوطنية. التحديات، الإنجازات والطريق نحو المستقبل. الأردن: وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات.
٦. المحيسن، إبراهيم. وخديجة هاشم. (١٤٢٣). المدرسة الإلكترونية: مدرسة المستقبل. دراسة في المفاهيم والنماذج. ندوة مدرسة المستقبل. الرياض: جامعة الملك سعود:
www.ksu.edu.sa/seminars/futur-school/Abstracts

7. مؤتمر صحافة الإنترنت في الوطن العربي: الواقع والتحديات (٢٠٠٥). الصحافة الإلكترونية العربية: الواقع والأفاق. الإمارات العربية المتحدة: جامعة الشارقة.
8. المؤتمر العلمي الثاني عشر لنظم المعلومات وتكنولوجيا الحاسبات. (٢٠٠٥). التعلم الإلكتروني وعصر المعرفة. القاهرة: من تنظيم الجمعية المصرية لنظم المعلومات وتكنولوجيا الحاسبات: ١٧-١٥.

9. www.cict.co.uk/software/markin/index.htm